رحلة علمية تطبيقية ثانية

إطلالة على المدن التاريخية اليمنية

قرية الهجرة – صنعاء Al Hijrah village

فناء جامع معاذ بن جبل –الجند Moad Ben Jabal Mosque - Al Jund

الجامع الكبير– مدينة زبيد Zabid-The Large Mosque

صنعاء - خالد الضبابي

للمرة الثانية على التوالي، تلقت مجلة السياحة الإسلامية دعوة من الهيئة الإدارية للمعهد الوطني للفندقة والسياحة في صنعاء للمشاركة في الرحلة العلمية التطبيقية لمدرسي قسم السياحة في المعهد. وشملت الدعوة عشرة من المدرسين والمدربين الذين يعملون في مجالي الإرشاد السياحي ووكالات السياحة والسفر. مولت الرحلة من قبل الاتحاد الاروبي. وكان الهدف من تنظيمها هو تعريف المشاركين بأهم المعالم السياحية والتاريخية في أربع مدن يمنية وتعريفهم أيضا بأسس ومبادئ العمل السياحي الميداني، خصوصا وأن هؤلاء المشاركين قد خضعوا لبرنامج تدريبي في مجال الإرشاد السياحي وأعمال وكالات السياحة والسفر على يد أحد الخبراء المتخصصين في هذا المجال وهو الخبير الألماني السيد كوست والذي كان مرافقا لنا في الرحلة أيضا.

بدأ برنامج الرحلة من صنعاء، حيث كانت ثلاث سيارات من نوع لاند كروزر مع سائقيها في انتظارنا. وقام السيد كوست بتوزيع برنامج الرحلة على المشاركين، ثم تلا ذلك توزيع المهام على أعضاء الرحلة، وكذلك توزيع الأدوار على كل مشارك، حيث خصص لكل مشارك عدد من المناطق بحيث يتولى كل شخص الشرح في المناطق التي حددت له من قبل الخبير المرافق لنا في هذه الرحلة. والهدف هو أن يقوم كل واحد من هؤلاء المشاركين بلعب دور المرشد السياحي فيتحدث عن المنطقة وخصائصها السياحية بينما يلعب الآخرون أدوار السياح. وهكذا مرت الأدوار على كل المشاركين في هذه الرحلة بينما يقوم السيد كوست بدور تقويم وتقييم عمل كل مشارك، وذلك بهدف تعريف هؤلاء المدرسين بأهم الأخطاء التي يرتكبها المرشدون السياحيون على الدوام خلال مرافقتهم للسياح بغرض تجنبها مستقبلا.

تحركت بنا السيارات الثلاثة ابتداء من العاصمة صنعاء حوالي الساعة الثامنة صباحا، توجهنا مباشرة نحو محافظة ذمار والتي تبعد عن العاصمة صنعاء مسافة 100 كم إلى الجنوب.

وبين هاتين المدينتين توقفنا مرارا من أجل التعرف على المواقع السياحية والتاريخية الموجودة على طول هذه الطريق.

كما تعرفنا أيضا على أنواع مختلفة من الصخور والأحجار والمزروعات. أحد المشاركين بدأ في لعب دور المرشد السياحي في هذه المنطقة فعرفنا من خلال شرحه أن مدينة ذمار تعد واحدة من المدن اليمنية القديمة والتي ترجع تسميتها إلى "ذمار علي يهبر" ملك سبأ وذي ريدان (15 - 35 م). وكان لموقع هذه المدينة المتوسط بين مدن الجنوب والعاصمة في سهل زراعي منبسط، أثر هام في حياتها التجارية والسياسية.

كما كانت أحد مراكز العلم والثقافة العربية والإسلامية في اليمن. ويعد جامعها من أقدم المساجد الإسلامية، فقد عمّر في مطلع خلافة أبي بكر الصديق (رض).

بعد الانتهاء من زيارة هذه المدينة اتجهنا مباشرة نحو محافظة إب والتي تعرف لدى عامة الناس باسم "اللواء الأخضر" وتبعد عن العاصمة صنعاء بما يقارب 193 كم. زرنا أولا منطقة "ظفار حمير" وهي منطقة أثرية تسمى أيضا "ظفار يريم" تقع إلى الشرق من مدينة يريم بمسافة 17 كم عبر خط أسفلتي. وكانت منطقة ظفار عاصمة للدولة الحميرية منذ القرن الأول الميلادي. وعند مدخل هذه المدينة التاريخية تعرفنا على متحف ظفار الذي يضم تشكيلة قيّمة من الآثار والتحف التي عثر عليها في هذه المنطقة خلال السنوات الأخيرة بالإضافة إلى أننا تعرفنا على بقايا قصر ريدان التاريخي الذي لم يبق منه إلا أساساته الظاهرة للعيان بأحجارها الضخمة.

عدنا باتجاه مدينة إب عبر الخط الإسفلتي الجبلي الملتوي "طريق سماره" والذي يرتفع ما يقارب 2500 م فوق مستوى سطح البحر. ويعد هذه الطريق من أجمل الطرق السياحية الجبلية. بالطبع السياحة الجبلية هنا بدأت تأخذ مجراها. فالطريق ليس وعرا ولكنك تشعر وأنت تقطعه كأنك بدأت تعانق السحاب. فالضباب الكثيف يحيط بك من كل جانب وقد تفقد الرؤية أحيانا. الجميع هنا يفضل التوقف للاستمتاع بمشاهدة المناظر الطبيعية الخلابة، والتي لا تتكرر مشاهدتها إلا في هذا المكان الجميل. وقام الجميع بالتقاط عدد من الصور التذكارية وبعدها تحركنا نحو مدينة إب لنصل إليها الساعة الواحدة ظهرا.

استغرقنا ما يقارب ساعتين في تناول وجبة الغداء ومن ثم تأدية صلاة الظهر والعصر جمعا وقصرا. وبعد ذلك تحركنا باتجاه محافظة تعز والتي كان لها النصيب الأوفر من وقت البرنامج نظرا لما ←

تزخر به هذه المحافظة من تعدد واختلاف في مقوماتها السياحية البديعة، ما يقارب ساعة واحدة هو الزمن المثالي للوصول إلى هذه المحافظة. وقبل وصولنا إلى مركز المدينة كان لابد من زيارة واحد من أهم المساجد الإسلامية الموجودة في اليمن، كيف لا وهو أول جامع بني في اليمن وقد بناه الصحابي الجليل رسول النبي (ص) إلى أهل اليمن معاذ بن جبل رض الله عنه في العام الثامن من الهجرة (630 م) في منطقة الجند والتي تقع إلى الشرق من مدينة تعز بمسافة 33 كم. ولما كان التعب قد أخذ منا مأخذه توجهنا مباشرة نحو مكان مبيتنا في أحد الفنادق الواقعة في قلب مدينة تعز.

وفي صبيحة اليوم الثاني استعد الجميع لإكمال برنامج الرحلة، فكانت البداية بالسياحة الطبيعية والتي بدأت تأخذ مجراها من "وادي الضباب" الجميل. قرابة ساعتين ونصف إجمالي الزمن الذي استغرقناه في زيارة هذا الوادي. ومن ثم اتجهنا مباشرة نحو زيارة جامع وضريح الشيخ أحمد بن علوان، وهو أحد رجال الصوفية المشهورين والذي تنسب إلية الطريقة العلوانية. ويرجع تاريخ بناء هذا الجامع إلى 700 سنة، وله زيارة سنوية مخصصة. يقع هذا الجامع في منطقة تسمى "يفرس" التي تقع غرب مدينة تعز بحوالي 30كم. وبعد ساعة كاملة من الزيارة، قفلنا راجعين نحو مدينة تعز. وقبل الدخول إلى مركز المدينة كان علينا كمختصين بالمجال السياحي أن نقوم بزيارة عرضية إلى جامعة تعز، خصوصا قسم السياحة وإدارة الفنادق للاطلاع على وضعة الحالي، وكذلك لتوطيد العلاقة مابين هذا القسم والمعهد الوطني للفندقة والسياحة لما في ذلك من خدمة وتطوير للتعليم السياحي في اليمن.

اقترح السيد كوست على الجميع أن نقوم بجولة على الأقدام لزيارة أهم المعالم السياحية والتاريخية التي تمتاز بها مدينة تعز. رحب الجميع بالفكرة، فقمنا بجولة خلال مدينة تعز القديمة ابتداء من بابها الشهير (باب موسى) ومن ثم زيارة الباب الكبير، وجامع المظفر، وجامع ومدرسة الأشرفية، وقبة الحسينية. بعد ذلك بدأنا بالصعود التدريجي نحو قلعة القاهرة التاريخية. ومن هذا المكان كان لنا حظ في الاستمتاع بمنظر غروب الشمس وكذلك مشاهدة المنظر العام لمدينة تعز الحالمة.

وفي صباح اليوم الثالث، غادرنا مدينة تعز باتجاه مدينة الحديدة، والتي استقبلتنا بحرارة جوها. فالرحلة اليوم ستختلف تماما عن سابقتها من حيث نوع الزيارات، وطبيعة الجو في المدن التي سنزورها. فالسياحة البحرية، والصحراوية، بدأت بالظهور بعدما كانت السياحة الجبلية والتاريخية هي السائدة في الأيام السابقة.

في هذا اليوم كان برنامج الرحلة يشير إلى زيارة أهم المعالم السياحية في محافظة الحديدة وهي تقع على ساحل البحر الأحمر وعرفت كمنطقة صيد عبر التاريخ ومن ثم استخدمت كمرسى للسفن في بداية القرن 15م.

يسود محافظة الحديدة مناخ الإقليم شبه المداري، فهو حار رطب صيفا ومعتدل شتاءً. وقبل الولوج إلى مركز المحافظة زرنا "زبيد" التي تقع إلى الجنوب من مدينة الحديدة وتبعد عن ساحل البحر الأحمر 18 كم. وهي مدينة جميلة جدا وتمتاز بطابعها المعماري والعادات والتقاليد السائدة فيها. وتعرف زبيد حاليا بـ"مدينة العلم والعلماء" كونها أنجبت الكثير من علماء الدين في اليمن بالإضافة إلى المدارس والمساجد الدينية المنتشرة فيها والتي تزيد عن 80 مسجدا.

ومن أهم المعالم التي زرناها في هذه المدينة هي الجامع الكبير الذي يعود تاريخه إلى القرن الثالث الهجري وقد بناه محمد بن زياد، وكذا زيارة جامع الأشاعر والذي بناه الصحابي الجليل أبو موسى الأشعري. ومن ثم زيارة قلعة زبيد التاريخية ومكتبتها العامرة بالكتب والمراجع العلمية والدينية. ويطلع الزائر لهذه المدينة على واحدة من أعرق المدن الإسلامية والتي ساهمت فعلا في خدمة الحضارة الإنسانية. وهكذا استغرقنا ما يقارب ثلاث ساعات في زيارة هذه المدينة لنتجه بعدها مباشرة نحو زيارة مدينة الحديدة والتي وصلنا إليها بعد مغيب الشمس.

وفي الصباح الباكر توجه المشاركون في الرحلة ليبدؤوا برنامجهم بزيارة سوق السمك وهو من المزارات الرئيسية في مدينة الحديدة حيث يتمكن الزائر من التعرف على أنواع من الأسماك المختلفة التي تمتاز بها اليمن بالإضافة إلى أن هناك ميناءً بحرياً ترسو السفن الصغيرة المحملة بالأسماك فيه. وبعد وقفة قصيرة في الميناء عدنا إلى صنعاء، فقطعنا مسافة 226كم في طريق العودة.

وكان ذلك خلال طرق جبلية معبدة ذات التواءات نصف دائرية. وتوقفنا في الطريق مرارا لا سيما أن هناك الكثير من المواقع السياحية الواقعة على هذا الطريق أهمها "قرية حراز" وهي منطقة واسعة مركزها الرئيسي مدينة "مناخه" والتي تتبع محافظة صنعاء.

وفي هذه المنطقة الجبلية يتمكن الزائر من الاستمتاع بمشاهدة المدرجات الزراعية ويرى مزروعات، من أهمها شجرة البن. كما يوجد العديد من القرى الجميلة المتناثرة هنا وهناك أهمها قرية "الحطيب" والتي تشتهر باحتضان ضريح الداعية الإسماعيلي حاتم بن إبراهيم الحامدي (القرن 16 الميلادي) وهو مزار هام لأتباع الطائفة الإسماعيلية الذين يفدون لزيارته سنويا من أقطار عديدة أهمها الهند وسيريلانكا وسنغافورة ومدغشقر.

كما قمنا بزيارة أخرى إلى قرية "الهجرة" والتي تقع إلى الجهة الغربية من مدينة مناخه، وهي قرية ذات دور عالية مبنية بالحجارة يصل ارتفاع بعضها إلى 8 طوابق ويقدر عمر بعضها بمئات السنين. ومن هذا المكان التاريخي أعلن قائد الرحلة انتهاء برنامج الرحلة العلمية التطبيقية آملا من الجميع أن يكونوا قد استمتعوا بهذه الرحلة واستفادوا مما ورد في برنامجها وأن ينعكس ذلك على واقع السياحة في بلدنا الحبيب اليمن.. ■

أزقة مدينة زبيد Zabid

زبيد Zabid

قلعة زبيد Zabid Fort

منظر عام لجامع الجند Al Jund Mosque